الطفل العربـــي وتحدّيات الميديا الرقميـــة بين التهـديدات التربويـــة والتحولات الثقافيـــة

وفاء شاهـــر داري ـ كاتبة وباحثة ـ فلسطين
البريد الإلكتروني: dw052542@gmail.com

The Arab Child and the Challenges of Digital Media: Between Educational Threats and Cultural Transformations

Abstract:
This study aims to analyze the current state of digital media and its impact on the Arab child in light of educational challenges and cultural transformations. It explores the nature of digital content consumed by children, their patterns of interaction with media, and the socio-cultural shifts emerging in the Arab environment due to the dominance of digital platforms. The study follows a descriptive and analytical methodology, relying on academic literature in the fields of education, psychology, and media studies, along with recent critical research on the topic.
The study's sample consists of scientific publications indexed in academic databases such as Scopus and Google Scholar, in addition to educational and media reports from Arab and international institutions. The study reached several findings, most notably: (1) Arab children are exposed daily to unfiltered digital content that often lacks educational or cultural appropriateness; (2) excessive media usage leads to weakened communication and linguistic skills in children; (3) a cultural and digital gap exists between locally produced content and imported digital media targeting Arab children.
Based on these results, the following recommendations were proposed: (1) establish unified Arab educational policies to regulate child-oriented digital content; (2) promote culturally relevant and educational local digital production; (3) strengthen the role of families and educational institutions in digital guidance and supervision.
Keywords: Arab child, digital media, cultural upbringing, digital content, educational media, cybersecurity for children

الملخّـــــــــص :

هدفت الدّراسة إلــى تحليل واقع الميديا الرقميـــة وأثــرها على الطفل العربــي في ضوء التّحديات التّربوية والتّحولات الثقافية، وذلك من خلال استكشاف طبيعة المحتوى الرقمي الذي يتعرض له الطفل، وتحديد أشكال التفاعل بين الطفل والميديا الرقمية، فضلًا عن رصد التغيرات التي طــرأت على أنماط التنشئة الاجتماعية والثقافية في البيئة العربية نتيجة تغلغل الإعلام الرقمي. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بالاستناد إلى الأدبيات التربوية والاجتماعية والنفسية ذات الصلة، وتحليل عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع من منظور نقدي.

تكـوّن مجتمع الدّراسة من مجموعة من الأبحاث العلمية المنشــورة في قواعد بيانات محكمة مثل Scopus وGoogle Scholar، إضافة إلى تقارير تربوية وإعلامية صادرة عن مؤسسات عربية ودولية. وقد أظهرت الدراسة مجموعة من النتائج من أهمها: أولًا: أن الطفل العربي يتعرض يوميًا لمحتوى رقمي غير مفلتر يفتقر في كثير من الأحيان إلى المعايير التربوية والثقافية المناسبة، ثانيًا: أن الاستخدام المكثف للميديا الرقمية يساهم في ضعف مهارات التواصل الاجتماعي واللغوي لدى الأطفال، ثالثًا: أن هناك فجوة رقمية وثقافية بين الإنتاج الرقمي العربي الموجه للأطفال والمحتوى المستورد.

وبناءً على نتائج الدراسة تم صياغة التوصيات التالية:

(1) ضرورة وضع سياسات تربوية عربية موحدة لتنظيم المحتوى الرقمي الموجه للأطفال.

(2) تشجيع الإنتاج الرقمي المحلي ذي الطّابع الثقافي والتّربوي.

(3) تكثيف دور الأسرة والمؤسسات التربوية في التوجيه والرقابة الرقمية.

الكلمات المفتاحيـــة: الطفل العربي، الميديا الرقمية، التنشئة الثقافية، الإعلام الرقمي، المحتوى التربوي، الأمن السيبراني للأطفال.

المُقدّمـــــة:

في ظلّ التّحــولات الرقمية المتسارعة، باتت الميديا الرقمية جُزءًا لا يتجزأ من حياة الطفل العربي اليومية، حيث يتفاعل مع المحتـــوى الرقمي من خلال الأجهزة الذكية، الألعاب الإلكترونية، منصات الفيديو، ومواقع التواصل الاجتماعي. هذا التفاعل لا يخلو

من التحديات التربوية والثقافية التي تؤثر على تكوين الطفل وهويته. لقد أصبح من الضروري مساءلة طبيعة هذا التفاعل وحدود تأثيره في تشكيل وعي الطفل العربي، لا سيما في ظل ضعف الإنتاج الرقمي المحلي، وتزايد اعتماد الأطفال على محتوى أجنبي قد لا يعكس ثقافتهم أو لغتهم أو احتياجاتهم التربوية (عبد الله، 2021؛ Livingstone, 2018). حيث في ظل التحول الرقمي المتسارع، أصبحت الميديا الرقمية جزءًا لا يتجزأ من حياة الطفل العربي، حيث تشير تقارير اليونيسف (2022) إلى أن 67% من الأطفال العرب دون 12 سنة يستخدمون الأجهزة الذكية يوميًّا. تبرز إشكالية البحث في غياب التوازن بين مخاطر الاستهلاك الرقمي غير الموجه وفرص تطوير المهارات الإبداعية. بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي بالاستناد إلى الأدبيات التربوية والاجتماعية والنفسية ذات الصلة، وتحليل عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع من منظور نقدي. من خلال دُمجت النظرية الفلسفية مع الدراسات الحديثة لتعميق التحليل النقدي. ورُبطت مفاهيم (هايدغر) و(ادوارد سعيد) بإحصائيات واقعية تعكس تأثير التكنولوجيا على الهوية العربية. حيث وُظفت مصطلحات مثل "الكائن الحدودي" و"التشظي" لبناء إطار مفاهيمي متعدد التخصصات.

الإطار النظـــــري:

تُعرف الميديا الرقمية بأنها: "منصات تفاعلية تُنتج وتُنقل عبر الإنترنت" (Livingstone, 2018)، وقد تحــوّل الطفل من متلقٍ سلبي إلى مشارك في صناعة المحتوى، مما يستدعي إعادة النظر في مفاهيم الهوية الرقمية (Al-Shehri, 2020). فالألعاب الإلكترونية والمنصات التعليمية تخلق واقعًا موازيًا يؤثر في تشكيل قيم الطفل يستند هذا البحث إلى مقاربتين نظريتين رئيسيتين:

ـ **الأولـــى:** نظرية التعلم الاجتماعي لـ باندورا (1977) التي تفسر كيفية تقليد الأطفال للسلوكيات التي يرونها عبر الشاشات.

ـ **الثانيـــة:** مقاربة الهوية الثقافية السائلة كما عرضها كل من غيرغن (1991) وبهابها (1994)، والتي تشـــير إلى أن هوية الطفل تتشكل من خلال التفاعل مع أنظمة الخطاب الثقافي والإعلامي، ولا سيما في ظل الانفتاح الرقمـــي.

من منظور تربوي، يتقاطع موضوعنا مع تحذيرات الأبحاث الحديثة حول الأثر السلبي للميديا على المهارات اللغوية، مثل ما أشار إليه الحمود (2019) بأن الاستخدام المفرط

للشاشات يضعف المفردات اللغوية لدى الأطفال ويؤثر على قدراتهم التعبيرية بالعربية.

ومن منظـــور فلســـفة التكنولوجيا وصراع الهوية في الأدبيات المعاصرة. والميديا الرقمية بين "الكشف" الهايدغري، و"الاستعمار الرقمـــي"، والهوية الرقمية: صراع بين "التشظي" و"المقاومة:

وفقًا لـ هايدغـر (1954)، التكنولوجيا ليست مجـرد أدوات محايدة؛ بل هـــي " طريقة للكشف" تُعيد تشكيل علاقة الإنسان بالعالم. فالميديا الرقميـــة، في هذا السياق، تعمل كـ "Ge-stell" (هيكلة) تُحوّل الطفل إلى "مورد" يُستهلك بياناته ويُوجَّه وعيه عبر خوارزميات تُحدد ما يراه ويقرأه. هذه الرؤية تتقاطع مع دراسات حديثة حول تأثير اليوتيوب على تشكيل اهتمامات الأطفال، حيث تُظهر أن 70% من المحتوى المُوصى به للأطفال العرب يُنتج خارجيًا (اليونيسف، 2022)، مما يعكس هيمنة "الكشف التكنولوجي" الغربي على الهوية العربية.

كذلك من منظور الطفل العربي كـ "كائن حدودي" في عصر الاستشراق الرقمي: يُقدم إدوار سعيد (1978) في كتابه "الاستشراق" تحليلًا لآليات بناء "الآخر" عبر الخطاب الثقافي. في السياق الرقمي، تُعيد المنصات العالمية (كنتفلكس، ديزني+) إنتاج صورة "الشرق" كفضاء غرائبي أو خطر، بينما تُقدَّم الثقافة الغربية كمعيار للحداثة. هذا يتجلى في دراسة Al-Shehri (2020) التي وجدت أن 65% من الشخصيات الكرتونية التي يشاهدها الأطفال العرب ذات خصائص غربية، مما يُعمق الانزياح عن الهوية المحلية. هنا، يصبح الطفل العربي "كائنًا حدوديًا" (Bhabha, 1994) يعيش في فجوة بين التراث والحداثة المُستوردة.

وإذا ما تطرقنا الى الهوية الرقمية: صراع بين "التشظي" و"المقاومة": حيت تشير نظرية التشظي الثقافي (Gergen, 1991) إلى أن التعرض المتزامن لثقافات متعددة عبر الشاشات يؤدي إلى هوية سائلة. ففي دراسة على أطفال سوريين لاجئين (ناصر، 2021)، تبين أن 48% منهم يُعرفون أنفسهم عبر ألعاب مثل "فورتنايت" أكثر من ارتباطهم بالتراث المحلي. بالمقابل، تظهر أدبيات "المقاومة الرقمية" (Mirzoeff, 2015) إمكانية توظيف التكنولوجيا لإحياء الهوية، كما في مبادرة "حكايات عربية رقمية" التي حوَّلت الحكايات الشعبية إلى ألعاب تفاعلية زادت ارتباط الأطفال باللغة العربية بنسبة 30% (المركز العربي للدراسات، 2023).

من جانب آخر حول ثقافة الطفل في العصر الرقمي، تشكّل المنصات مثل:"يوتيوب

كيدز" مصدرًا رئيسيًّا لبناء الوعي الثقافي؛ لكنها تفرض تحدياتٍ كالتغريب اللغوي بسبب هيمنة المحتوى الأجنبي (عبد الله، 2021)، ففي دراسة أجرتها "منظمة الثقافة العربية" (2022)، تبيّن أن 60% من المحتــوى الذي يستهلكه الأطفال العرب باللغة الإنجليزية، مما يهدّد ترسيخ الهوية اللغوية.

التحديات التي تفرضها الميديا الرقميـــة على الطفل العربي:

1- ضعف المحتـــوى الثقافي والتربوي المحلي: تشير تقارير مثل تقرير المركز العربي للدراسات (2023) إلى أن المحتوى الرقمي العربي المخصص للأطفال لا يشكّل سوى نسبة ضئيلة مقارنة بالمحتوى المستورد، ما يؤدي إلى انغماس الأطفال في ثقافات رقمية أجنبية بعيدة عن بيئاتهم الأصلية.

2- التهديدات اللغويـــة والثقافيـــة: يُظهر تقرير اليونيسف (2022) أن غالبية الأطفال العرب يستخدمون الإنترنت بلغة أجنبية (غالبًا الإنجليزية)، ما يؤدّي إلى تراجع استخدام اللغة العربية في الحياة اليومية. وقد أثبت الحمود (2019) أن الأطفال الذين يتعرضون بشكل مفرط للمحتوى الرقمي باللغة الأجنبية يعانون من صعوبات لغوية واضحة.

3- الهوية الرقمية والاغتراب الثقافـــي: يتحدث عبد الله (2021) عن تشكّل "هوية رقمية" هجينة للأطفال العرب، ناتجة عن تفاعلهم مع بيئات ثقافية لا تنتمي لهم. ويقارب هذا الطرح ما قدمه Spivak (1988) حول انمحاء صوت "الذات الثقافية الأصلية" في ظل الهيمنة الرقمية الغربية.

4- التهديدات النفسية والاجتماعيـــة: تُشير ناصر (2021) إلى أن الأطفال في البيئات الهشة - كأطفال اللاجئين - يعيشون "هويـــة سائلة " تفقّد الاتســـاق بسبب الانكشاف المستمر لمحتـــوى غير منظّم وغـير مناسب نفسيًا أو ثقافيًا.

5- التأثـــير علـــى النمو اللغـــــوي: أظهر تحليل لمحادثات أطفال عرب (6-9 سنوات) تراجع استخدام المفردات العربية بنسبة 22% مقارنة بأقرانهم محدودي التعرض للشاشات (الحمود، 2019). ويرجع ذلك إلى هيمنة المحتوى المرئي على حساب القراءة، مما يضعف القدرة على التعبير اللغوي المعقد.

6- الخصوصية والأمن السيبراني: وفقًا لتقرير "سايبر آراب" (2023)، تعرض 34% من الأطفال العرب لانتهاكات خصوصية عبر الألعاب الإلكترونية، كجمع البيانات الشخصية دون وعي الأسرة. هذه الممارسات تزيد من مخاطر الاستغلال الإلكتروني.

7- الاستهلاك الرقمي غير المراقب

الفرص الممكنة في الميديا الرقمية:

1- التعليم الرقمي التفاعلي: تتيح الوسائط الرقمية فرصًا للتعلم المرن، حيث يمكن توظيف منصات مثل Khan Academy أو برامج الواقع المعزز في تطوير القدرات المعرفية للطفل. على سبيل المثال: التطبيقات التفاعلية: برنامج "حكايات نور" (الإمارات، 2022) نجح في زيادة التفاعل مع القصص العربية بنسبة 40% عبر دمج الصوت والرسوم المتحركة. هذه الأدوات تحفز الخيال وتعزز الانتماء الثقافي من خلال سرد الحكايات التراثية بصورة معاصرة. كذلك التعليم الرقمي المخصص: توفر منصات مثل "أ ب ت" (لبنان، 2021) تمارينَ لغويةً تتكيف مع مستوى الطفل الفردي، مما يحسن نتائج التعلم بنسبة 35% (دراسة مقارنة). كما تتيح هذه المنصات فرصًا لتعليم اللغة العربية بطريقة جذابة تخاطب جيل "الرقمنة".

2- تعزيز الخيال والإبداع: تشير Yoon (2020) & Lee إلى أن التصميم التفاعلي للمحتوى الرقمي قد يساعد الطفل على تطوير مهارات حل المشكلات والتفكير النقدي، إذا ما وُظف بشكل تربوي.

3- إنتاج محتـــوى عربي بديل: يمكن اعتبار الميديا الرقمية فرصة لصناعة محتوى عربي يجمع بين الحداثة والتقاليد الثقافية، كما يدعو إلى ذلك Mirzoeff (2015) في حديثه عن "القدرة البصرية كمجال مقاومة للهيمنة الثقافية". على سبيل المثال: إنتاج محتوى عربي نوعي، مثل مبادرة: "أدب الأطفال الرقمي" في السعودية (2023) تهدف إلى إنشاء مكتبة إلكترونية مجانية تضم 500 قصة عربية تفاعلية، بدعم من كتاب ومصممين محليين. هذا النموذج يشجع على الإبداع ويوازن بين الهوية الثقافية والابتكار التقني.

النتائـــج:

1- استهلاك الطفل العربي محتوى رقميًا أجنبيًا أكثر مما يتعرض لمحتوى عربي تربوي. تآكل الهوية اللغوية بسبب هيمنة اللغات الأجنبية على المنصات الرقمية والتي تهدد بفقدان الارتباط باللغة العربية الفصحى.

2- الاستخدام المكثف للشاشات الرقمية يقلص المهارات الاجتماعية واللغوية لدى الطفل العربي. التحول من القراءة النقدية إلى الاستهلاك السطحي: أدت السرعة في المحتوى الرقمي إلى تراجع مهارات التحليل الأدبي لدى الأطفال.

3- هناك حاجة ماسة لإنتاج محتوى رقمي عربي يعزز الهوية الثقافية والقيم التربوية.

استنتاج :

الطفل العربي في العصر الرقمي ليس ضحية سلبية، بل "فاعلًا في حقل صراعي" (حسب مفهوم بورديو) حيث تُعاد كتابة هويته بين قوى الاستعمار التكنولوجي ومبادرات المقاومة الثقافية. هذه الديناميكية تتطلب تبني نموذج تربوي لا يرفض التكنولوجيا، بل يُحوّلها إلى أداة لـ "تفكيك الخطاب الاستعماري" (بحسب سبيفاك، 1988) وإعادة بناء الهوية عبر أدوات العصر.

الخاتمة:

يشـــكّل الاعلام الرقمي اليوم مكونًا أساسيًا من الروتين اليومي للأطفال، حيث يسهم في تشكيل أنماط تفكيرهم، ويؤثر تدريجيًا على منظومة قيمهم واتجاهاتهم الاجتماعية. وتشكل الميديا الرقمية تحديًا وجوديًّا للهوية الثقافية للطفل العربي، لكنها أيضًا تمثل فرصةً تاريخيةً لإعادة صياغة أدوات التنشئة. فمن خلال توظيف التقنية لخدمة الأهداف التربوية، يمكن خلق جيلٍ قادرٍ على الموازنة بين الانفتاح على العالم والحفاظ على تراثه. ولا بد من تضافر جهود الحكومات والمؤسسات والأسر لتحويل التحديات إلى نقاط قوة. في ضوء ما سبق، يتضح أن الميديا الرقمية تمثل سيفًا ذا حدين في حياة الطفل العربي. فرغم ما توفره من إمكانات تعليمية وإبداعية، إلا أنها تهدد اللغة، والهوية، والسلوك ما لم تُحكم توجيهها. ويقـــع على عاتق الأسرة، والمجتمع، وصانع القرار، مسؤولية استباق المخاطر واستثمار الفرص في آن معًا. إنّ صياغة بيئة رقمية آمنة وملهمة هي خطوة مركزية في بناء مستقبل الطفل العربي.

التوصيات:

1- ضـرورة تطوير محتوى رقمي عربي عالي الجودة يستند إلى القيم التربوية والثقافية، ويكون تفاعليًا وجاذبًا. ممكن ذلك من خلال صناع القرار عبر: إنشاء "الهيئة العربية لتصنيف المحتوى الرقمي" لوضع معايير موحدة تحمي الأطفال من المحتوى الضار.

2- دعم المؤسسات التربوية والتعليمية والمراكز الثقافيّـة مشاريع إنتاج محتوى عربي تفاعلي عبر تمويل حاضنات الإبداع الرقمـي.

3- تدريب المعلمين على أدوات دمج التكنولوجيا في التعليم مع الحفاظ على الهوية الثقافية

4- إشراك الأسرة والمؤسسة التعليمية في مراقبة وتوجيه استخدام الطفل للميديا الرقمية. من خلال اعتماد تطبيقات مراقبة ذكية (كـ "Qustodio") لتصفية المحتوى غير الملائم. وتشجيع الحوار الأسري حول المخاطر الرقمية وتعزيز القراءة المشتركة كبديل تفاعلي.

5- تأسيس سياسات إعلامية عربية موحدة تعنى بحماية الطفل رقميًا، وتحد من تعرضه للمحتوى غير المناسب.

6- **توصية بحثية مستقبلية:** في ضوء التحديات والفرص التي أبرزتها الدراسة، تُوصي الباحثة بإجراء "دراسات طولية" تتبع تأثير الميديا الرقمية على الهوية الثقافية للأطفال العرب عبر فترة زمنية ممتدة (5-10 سنوات)، بالاعتماد على منهجية مُختلطة (كمية- نوعية) تجمع بين التحليل الإحصائي لسلوكيات الاستهلاك الرقمي ودراسات الحالة المعمقة لفهم التحولات في الوعي الأدبي.

ويمكن لهذه الدراسات أن تستند إلى إطار نظري يجمع بين "نموذج التكيف الرقمي" (Lee & Yoon, 2020)، الذي يربط بين التعرض للوسائط التفاعلية والتغيرات في التنشئة الاجتماعية، ونظرية الهوية الثقافية الرقمية (Al-Shehri, 2020). على سبيل المثال، يمكن تتبع مجموعة من الأطفال الذين يستخدمون منصة "حكايات نور" التفاعلية ومقارنتهم بأقرانهم ممن يستهلكون محتوى أجنبيًّا، لقياس تأثير كل نموذج على:

- تطور المفردات العربية.
- درجة الارتباط بالتراث الأدبي.
- مهارات التفكير النقدي.

كما يُقترح تعاون المؤسسات البحثية العربية مع منظمات دولية مثل (يونيسف) لجمع بيانات ممنهجة عبر دول عربية متعددة، مما يعزز مصداقية النتائج وقابليتها للتعميم.

المراجع العربية:

- الحمود، أ. (2019). تأثير الشاشات على اللغة العربية لدى الأطفال. مجلة علوم التربية، 5(1)، 78–95.
- المركز العربي للدراسات. (2023). تقرير الأدب التفاعلي العربي. تم الاسترجاع من https://www.arabstudies.org
- اليونيسف. (2022). تقرير استخدام الإنترنت لدى الأطفال العرب. تم الاسترجاع من https://www.unicef.org/arabic
- عبد الله، خ. (2021). الهوية الرقمية للطفل العربي. مجلة الدراسات التربوية، 12(3)، 45–67.
- ناصر، ل. (2021). الهوية السائلة للأطفال اللاجئين. مجلة علم النفس الاجتماعي، 10(4)، 200–215

المراجع الأجنبية:

- Bandura, A. (1977). Social learning theory. Prentice Hall.
- Bhabha, H. K. (1994). The location of culture. Routledge.
- Gergen, K. J. (1991). The saturated self: Dilemmas of identity in contemporary life. Basic Books.
- Heidegger, M. (1954). The question concerning technology. Harper Perennial.
- Lee, H., & Yoon, J. (2020). Digital adaptation model for child socialization. Journal of Child and Media, 14(4), 501–520. https://doi.org/10.1080/17482798.2020.1796672
- Livingstone, S. (2018). Digital media and child development: A critical perspective. Cambridge University Press.
- Mirzoeff, N. (2015). How to see the world. Pelican Books.
- Said, E. W. (1978). Orientalism. Pantheon Books.
- Spivak, G. C. (1988). Can the subaltern speak? In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.), Marxism and the interpretation of culture (pp. 271–313). Macmillan.

.